

رؤى مستقبلية لمشاهد من مدينة الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام

إعداد

نائلة قاسم أحمد لفون

نائبة رئيس قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الطائف

الملخص

هذه الورقة رصد لمرثيات واقعية شهدتها بصحبة ضيوف وزارة الحج بمدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم عقب أداء فريضة الحج لعام ١٤٢٨هـ ، منها مايلي :

١. مرشديات الحرم النبوي: يبدر منهن إزعاج متواصل للمصليات بالروضة الشريفة ، فهن على مدار الدقيقة أو الثانية من الساعة يرددن: لا تطيلي الصلاة، أفسحي المكان لغيرك، اتركي المكان لأخرى..... إلخ، بل بعضهن لا يكتفين بترديد تلك العبارات ، بل يتجاوزنها إلى لمس المصليات وهزهن بأيديهن قائلات: أسرع الوقت انتهى. أليس هذا تقمص لدور إبليس اللعين؟ وما شعور أحدكم وهو يقف بين يدي الله يصلي وآخر يتعمد تشتيت ذهنه ، وتبديد خشوعه؟ هل تدعون له أم عليه؟ ، ومنّ منا يستطيع أن يقنع آخر أو حتى نفسه بأن يترك الجنة لغيره؟. ولكن بالتأكيد أن أحد الدوافع وراء تشبث النساء بهذا المكان وإطالة المكوث فيه هو ضيق ومحدودية الفسحة الزمنية المخصصة للنساء إلى جانب صغر المساحة المكانية.

لذا اقترح أن تخصص مساحة كافية وافية مقتطعة من الروضة الشريفة بتوقيت دائم للنساء على مدار الساعة وليس بأوقات معينة وساعات محدودة، ثم لتتسع المساحة وتتضاعف كما كان النظام المتبع قبل التخصيص آنفاً، وبقينا أن الوقت المفتوح بمكان مهما صغر حجمه سيخفف كثيراً من الازدحام وما يسببه من توتر وإزعاج للمصليات والمرشديات معاً، فالتخطيط المدروس ، والتدريب المقنن يحققان تنظيمياً يقضي على الفوضى والغوغائية ، ويعالج سيئات السلوك، ويحولها إلى إيجابيات تُنسي مصاعب الحياة .

٢. تخصيص مدخل أوجد للنساء من جانب واحد من جوانب الحرم النبوي مما يسبب إرهاقاً للنساء، بل وفوات الصلوات عليهن لبعدهن مساكنهن عن هذا المدخل الفريد لمسجد شاسع الأطراف ، ولا مجال للوصول إليه إلا عن طريق المشي على الأقدام.

لذا اقترح أن تتعدد أبواب النساء لدخول المسجد النبوي، بحيث يُخصص باب من كل جانب من جوانب المسجد ومحيطه ، فتُفتح بوابة شرقية، وأخرى غربية، وثالثة شمالية، ورابعة جنوبية ، وتبقى بقية الأبواب للرجال. فهل أكثرث في طلبي واقتراحي؟. وأنا واحدة من اللواتي عانين من الباب الأوجد بغلطة بسيطة من سائق أولسني إلى الإتجاه المعاكس من باب النساء ، مما اضطرني إلى المشي حول المسجد بأكمله إلى أن وصلت تلك البوابة وبصحبتني امرأة مسنة ، وتمشي بصعوبة كونها من ذوات الإحتياجات الخاصة ، ولكم أن تتخيلوا الجهد والوقت لوصولي البوابة الوحيدة الكليّة^(١).

لذا أقول: أكرموا المرأة يا أهل مدينة رسول الله، ولا تنسوا قوله عليه الصلاة والسلام: (استوصوا بالنساء خيراً)، وقوله: (ما أكرمهن إلا كريم)، واشرعوا لهن أبواب المساجد أو الجوامع درءاً لأبواب المفاسد المشرعة على مدار ساعات اليوم بليله ونهاره، وارحموهن ولا تكونوا عوناً لإبليس وجنده ضدهن، وقبل هذا كله تحية إجلال وتقدير مقرونة بدعاء متواصل متصل بطول العمر ودوام الصحة والعافية وبقاء الحكم والحكمة للميكنا المفدى خادم الحرمين الشريفين، وأبقاه الله نصيراً ومنصفاً للمرأة والمُستضعفين بالأرض، فجميعنا نعلم قراره بفتح الزيارة الخاصة بالنساء - للمسجد النبوي - حتى الساعة الثانية عشرة ليلاً، ونطمح إلى المزيد من الخير - من ميكنا وجه الخير -.

٣. المواقع الأثرية التاريخية بالمدينة المنورة (واقع وطموحات):

لاشك أن الإهمال الواقع على بعض هذه المواقع الأثرية يحز ويحز على النفس، فهذه الثروات والكنوز الأثرية الغنية بذاتها، المغنية لنا روحياً وبدنياً، غنى يزداد نمواً وثراءً، نستطيع توريثه لأحفاد الأحفاد أجيالاً بعد أجيال إلى ما شاء الله إذا ما أوليناها

(١) ذو الكلاله هو من لا فروع له .

العناية والرعاية والاهتمام الذي تستحقه، بشرط أن يكون ذلك نتاج فكر ووعي مستقبلي لا آني محكوم بضيق الأفق وقصور الرؤية، المتبع بتنفيذ عشوائي مجاني للجماليات والفتيات؛ التي تفرض على المنجزات خلوداً وديمومة؛ مما يبقيها شواهد وحواضر عصية الزوال أبيّة الفناء، فنحن ندرك أن الناس يندثرون ويموتون، وتبقى أعمالهم، وأقوالهم وأشياؤهم وممتلكاتهم شواهداً لهم أو عليهم.

وشاعرنا العربي يقول عن بقاء ودوام أثر الإنسان مقابل فناءه الجسدي:

الخط يبقى زماناً بعد كاتبه # وصاحب الخط تحت الأرض مدفوناً

ثم ألا تؤيدونني بأنه ليس عيباً بل فضيلة وحنكة أن نكتسب من ثقافات ومعارف علوم الآخرين وتجاربهم؟، فهام الأسباب اتخذوا آليات للحفاظ على الآثار التاريخية كثروة وطنية لا تفريط فيها؛ ويخصنا منها العربية الأندلسية بمدينتي قرطبة وغرناطة وغيرهما بما فيهما من مساجد وقصور ودور... إلخ، ولا يخفى على الجميع مساهمة هذه الآثار في ارتفاع اقتصاد أسبانيا؛ وتأكيدها على سبق الحضارة العربية الإسلامية، منذ ما يتجاوز الألف عام بمئات السنين، وما نطمح إليه: انجازات بمقاييس ومواصفات عالمية ننافس ونزاحم الأمم بها. بتحويلها إلى مشاهد أكثر رقياً وحضارةً وبجودة عالية لا مثيل لها، كون الإحسان أحد فروض الإسلام على المسلمين كما هو معروف ومعتقد.

٤. الرؤى المستقبلية لمشاهد أكثر رقياً وحضارة:

- إنشاء معاهد (بنين وبنات) للإرشاد السياحي وإقامة دورات لتعلم الإستراتيجيات والآليات الناجحة في الاتصال والتواصل الذكي والراقي، خاصة مع الحجيج وزوّار المسجدين الشريفين - المكي والنبوي - كونهم ليسوا سياحاً عاديين، بل سياحتهم تغذية روحية وسمو مقصد بذلوا من أجله الكثير، وقطعوا لتحقيقه المسافات، وتحذوا العديد من الصعوبات الموقّات، وفرطوا فيما يحبون من مال وأهل وولد، وتركوا الغالي والرخيص، وأجلّوا شتى المسئوليات من أجل هذه

الرحلة المباركة، وحتى إذا ما أتوا إلى بلاد الحرمين، يأتي بعضنا ليصدمهم بتعامل الجهلاء، وفوقية المخدوعين بقشور وحفنة مال لا يُغني ولا يُسمن بذاك اليوم الموعود، كما ينبغي التأكيد على أننا جميعاً - رجالاً ونساءً - في هذا البلد كل في موقعه ومسئولته سفراً لديننا ووطننا وأهلونا، ولنا قدوة وأسوة في أول سفير بالإسلام - مصعب بن عمير -، حيث انتدبه النبي إلى يثرب ليسبقه إليها قبل الهجرة، فكان نعم السفير لخير مرسل ورسول، وأخير مضيئين - الأنصار - سكان مدينة المصطفى عليه السلام - رضوان الله عليهم أجمعين -، فقد كانوا ولا زالوا قدوتنا في أن الدين المعاملة وحسن الخلق .

● مراجعة أسماء الأحياء بالمواقع الأثرية وإعادة تسميتها بما يناسب تاريخها العتيق الشريف، ومن ثم إرجاع الروحانية المتجذرة من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تلك الأماكن المقدسة، والتي إذا ما زرتها استحضرتنا التاريخ المجد لرسول الله عليه الصلاة والسلام بخطواته المباركة وأنفاسه العطرة بهذه الديار المقدسة، ومن ثم الأحداث والشخصيات والآيات وأسباب نزولها والشخصيات المعاصرة له: المؤيدة وما نالها من تكريم، والعاصية المحاربة وما حلَّ بها من سخط وعقاب وجزاء، وذلك لنعيش التاريخ من جديد علناً نستعيده، ولنشارك في استعادة و صناعة مجد الأمة من جديد.

● تعليم الأماكن بشاهد أو شواهد (جداريات) كتابية بكل موقع من تلك المواقع، لتؤرخ للمكان والأحداث والشخصيات والآيات إلخ. ولا نغفل أن تحديث هذه المواقع التاريخية ينبغي فيه مراعاة الاستفادة من التطويرات الهندسية المعاصرة بالموصفات والمقاييس الدولية المتبعة في المشاريع والمنشآت العالمية، مبتعدين عن المظاهر العشوائية بما يناسب تاريخ هذه الآثار وعظمتها .

● تهيئة وإمداد هذه المواقع بكل المظاهر والضروريات المحققة لراحة وسعادة هؤلاء الزوار والمعتمرين، بحيث تصبح مناخاً يتحول مع مرور الأيام إلى ذكريات عصية النسيان، مجددة لشباب وحيوية زوار بيت الله الحرام ومدينة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

● فرض مبالغ رمزية لصيانة وخدمة ونظافة هذه الأماكن، مشاركة للزوار في مسؤولية الحفاظ على جماليات هذه المواقع من منطلق قوله عليه السلام: (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته..... إلخ)، فسلب المسؤولية من أي إنسان لا يشكّل رافة أو رحمة، بقدر ما هو تصغير وتحقير يأباه كل محترم لإنسانيته وقيمه ومبادئه، لذا أقترح مقولة: (أدفع ريالاً استدواماً لنظافة المكان، وتحقيقاً لسلامتك وراحتك)، ويُعفى من ذلك غير المستطيع مادياً وووووو إلخ، ولنتذكر قوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (إماتك الأذى عن الطريق صدقة)، أما صناعة الأذى أو الضرر أو الاشتراك فيه، فتلك جريمة تُعاقب عليها جميع القوانين والدساتير السماوية والبشرية على السواء كما يعلم حضورنا وجميع المسلمين بكل زمان ومكان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .